

بعد أن تعرفنا على شيء من اعمال المستشرقين يستبد العجب ببعضنا وتعتريه الدهشة لموضوع الاستشراق ويتساءل: ما الذي يدعو الباحث الغربي إلى بذل كل هذا الجهد والعمر والمال في دراسة عالم غريب عنه.. يدرس لغاته التي تختلف تماما عن لغته، ويحاول جاهدا فهم آدابها وعقائد أهلها وتاريخهم؟ ما الذي يحمله على ذلك، وكان في وسعه أن يوجه كل تلك الجهود لدراسة مجالات أوربية أخرى يمكن أن تظهر فيها مواهبه وإمكاناته الفكرية من ناحية، ومن ناحية أخرى تكون أكثر فائدة له من الناحية العلمية؟ وكما يقول نجيب العقيلي: (فلو أن أحدهم انصرف طوال حياته إلى حل الكلمات المتعارضة، أو جمع طوابع البريد النادرة أو كتابة القصص البوليسية، بدل التحقيق والترجمة والتصنيف لخرجت به من تلك الجزائر المتعددة التي يعيش فيها المستشرقون إلى العالم الرحب في القرن العشرين ولعادت عليه برحاء من العيش، وشهرة بين الناس، وسلامة من النقاد).

وقد صرح المستشرق الالماني (رودي بات): (باننا في دراستنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافيه، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة، ولكن الأمر بالرغم من ذلك ليس امرا عاديا او من قبيل المصادفة، فاتجاه الاوروبيين لدراسة الشرق واقامه مؤسسة ضخمة لذلك هي مؤسسة الاستشراق، لابد ان تكون وراءه أهداف معينة، يسعى المهتمون بالاستشراق لتحقيقها وبمختلف الوسائل، ويستطيع كل باحث عن تاريخ الاستشراق أن يقف عليها ويشخصها).

ويعرف الهدف أو الأهداف: بأنها الأعمال التي تم تحقيقها باستخدام الوسائل والأساليب المختلفة والمرتبطة بالدوافع أولاً.

ويمكن تلخيص أهم هذه الأهداف بما يلي:

أولاً: الهدف الديني: لقد تشكل الهدف الديني منذ البداية في ثلاثة اتجاهات متوازية هي:

الاتجاه الاول: محاربه الإسلام بالبحث حسب تصور المستشرقين أنفسهم عن نقاط ضعف فيه وابرازها، وبالرغم أن الإسلام دين مأخوذ من اليهودية والنصرانية ومصادر أجنبية أخرى وبالانتقاص من قيمه ودوره في إثراء الثقافة الإنسانية وبالخط من قدر نبيه -ﷺ- .

الاتجاه الثاني: من اتجاهات الهدف الديني للاستشراق حمايه النصارى من خطر الإسلام المزعوم بحجب حقائقه عن الغربيين واطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين **يقول السيد محمد رشيد رضا:** (إن رجال الكنيسة لم يجدوا ما يصدون به اتباعهم عن الإسلام بعد ان رأوه قد قضى على الوثنية والمجوسية، وكاد يقضي على النصرانية في الشرق، ثم امتد نوره إلى الغرب، إلا تأليف الكتب ونظم الاشعار والاعاني في زمن الإسلام ونبيه وكتابه بالإفك والبهتان وفحش الكلام).

الاتجاه الثالث: التبشير والتنصير وهما بمعنى واحد: (وهي حركة غزو فكري تستهدف تحويل المسلمين في بعض الشعوب الافريقية والآسيوية إلى النصرانية والوقوف في وجه انتشار الإسلام في هذه الشعوب).

ومن خلال دراسة بحوث المستشرقين المغرضين وآرائهم حول الإسلام تتجلى أمور أخرى تدرج تحت الهدف الديني اضافة لما ذكر من اتجاهات ومن أهمها ما يلي:

١- منع انتشار الإسلام في اوربا وغيرها من العالم النصراني حفاظا على سلطة الكنيسة ومفاهيمها، وليس أدل على هذه الحقيقة من الشروط التي أملاها الانجليز على تركيا والتي تعرف بشروط (كرزون) الأربعة التي تحمس لها مصطفى كمال وهي:

أ- ان تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

ب- ان تلغي الخلافة.

ج- ان تتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها انصار الخلافة.

د- انت اختار تركيا لنفسها دستور مدنيا بدلا من الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة الإسلامية والقائم على قواعدها.

وقد ظل هذا الخوف من الإسلام مرافقا للاستشراق في العصر الحديث ويقول عن ذلك ادوارد سعيد: (فقد حمل الاستشراق الحديث في ذاته معالم الخوف الأوربي العظيم من الإسلام وقد زادت ذلك حدة التحديات السياسية في مرحلة ما بين الحربين).

٢- تحويل المسلمين عن دينهم وإشاعة البلبل الاعتقادية والفكرية في صفوفهم لتصير بلادهم لقمة سائغة للغرب، ويصير المسلمون اتباعاً خاضعين لسلطانه.

٣- اقتباس افكار إيمانية من الإسلام لتثبيت أقدام الكنيسة في بلادها بفكر ديني معقول.

٤- جعل الدراسات الاستشراقية مصدرا لتعليم المسلمين الإسلام، ومصدرا للدراسات عن الشرق عامه، فقد صارت دراسة ذلك كله متوافرة في جامعات الغرب على طريقة الاستشراق.

٥- تحطيم وحدة المسلمين بتحطيم الوحدة الفكرية، واحداث البلبلة بإحياء الخلافات الفكرية للفرق الباطنية منها خاصة؛ والمذاهب المتطرفة والغالية، وذلك بقصد ايقاظ الفتن النائمة، وتمزيق وحدة الامة الإسلامية، بإضعاف روح الاخاء الإسلامي بين المسلمين عن طريق احياء القوميات واثارة كل ما من شأنه منع اجتماع الشمل ووحده الكلمة.

ثانيا أهداف علمية:

وقد كانت مقصد من ظهر في عصر التنوير في اوربا، فمنهم من قرأ الكتب الدينية وفحصها وأدرك أن رسالة الإسلام قريبة من الرسالات السماوية، ومؤيدة لما جاء في كتبها من إيمان بالله وكتبه ورسله، ودعوة إلى الحق والخير والصلاح، ولكن هؤلاء كانوا قلة، وهم مع إخلاصهم لا يسلّمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، اما لجهلهم بأساليب اللغة العربية وبلاغتها، واما لجهلهم بالأجواء التاريخية الإسلامية على حقيقتها، وهذه الفئة أسلم الفئات التي كانت لها أهداف دينية أو علمية مشبوهة أو دينية سياسية وأقل الفئات الأخرى اذا سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم ذلك، وهذه الفئة تلقى عنثاً من أصحاب الأهداف الأخرى، حيث تنهم من قبلهم بالانحراف عن المنهج العلمي أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجاملة المسلمين

والتقرب إليهم كما فعلوا مع (توماس ارنولد) حين أنصف الإسلام في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) ومن هذه الفئة من تؤدي دراساته الإسلامية إلى اعتناق الإسلام كالمستشرق الفرنسي (دينه) وغيره.

ثالثا: أهداف تجارية:

وقد ظهرت تلك الأهداف التجارية في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، فقد كان الغربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعتهم التي كانت في طريقها للازدهار ومن أجل هذا وجدوا ان الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية والتعرف عليها، ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية، حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك، من تحقيق فوائد كبيرة على تجارتهم وصناعتهم بالخير العميم ولذلك كانت المؤسسات المالية والشركات وكذلك الملوك في بعض الأحيان يزودون الباحثين فيما يحتاجون إليه من مال، كما كانت الحكومات المعنية تمنحهم الرعاية والحماية، ونظرا لأهمية الدين وتأثيره الفعال في الاخلاق والمعاملات فقد اتجه هؤلاء الباحثون لدراسة وكتابة التقارير وتأليف الكتب عنه، ولكن هذه الطائفة كانت ايضا قلة مثل الطائفة السابقة.

رابعا: أهداف سياسية:

ظهرت تلك الأهداف السياسية واضحة جلية واتسع مداها باتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، واضطرت الدول الاستعمارية أن تعلم موظفيها في المستعمرات لغات تلك البلاد وان تدرسهم آدابها ودينها، ليعرفوا كيف يسوسون هذه المستعمرات ويحكمونها، وقد اتجهوا في هذه المرحلة إلى العناية باللغات العامية والعادات السائدة كما عنوا بالدين والشريعة.

خامسا: تربية أجيال جديدة من المسلمين:

هدف المستشرقون والمبشرون إلى خلق أجيال جديدة من المسلمين يتكروون او يحتقرون كل مقومات الحياة الإسلامية بالتربية الشرقية، وبالمقابل يعظمون كل مقومات الحياة الغربية ويدعون إلى إحلالها واتباعها.

ويؤيد هذا استاذنا الدكتور عرفان عبد الحميد في بيان أهداف الاستشراق فيقول: (إن الاستشراق منهج علمي لقاح من أبوين غير شرعيين التبشير الذي خطط له، والاستعمار الذي غذاه لا يزال يعمل من أجل أهدافهما، وهو تقويض اركان العقيدة الإسلامية وإحلال تصورات ومفاهيم مناهضة لهذه العقيدة وتكوين شبكة فكرية في العالم الإسلامي تدور في فلكه، وتبشر بتعالمه، وتستمد منه هذا الاستمداد الفكري والدعوة هو الهدف الجديد للاستشراق لينتهي الأمر إلى خلق جيل يتنكر لتراث هذه الأمة ومثلها في الحياة، والعمل من أجل اجتثاث الجذور التاريخية المقومة لشخصية هذه الأمة لتصير إلى حيرة واضطراب فكري وخلاء روحي فيسهل عنده غزو المجتمع الإسلامي بالفكر والمبادئ والمفاهيم والتصورات الغربية على دين الأمة وعقيدها).